

شرح أصول الكافي

[201] فشلوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور ا [إذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم قنوتا وأقلهم كلاما وأصوبهم نطقا وأكبرهم رأيا وأشجعهم قلبا وأشدّهم يقينا وأحسنهم عملا ، وأعرفهم بالامور . كنت وا [يعسوبا للدين أولا وآخرا الأول حين تفرق الناس والآخر حين فشلوا ، كنت للمؤمنين أبا رحيمًا إذ صاروا عليك عيالا ، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ورعيت ما أهملوا وشمرت إذ اجتمعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ أسرعوا وأدركت أوتار ما طلبوا ونالوا بك ما لم يحتسبوا ، كنت على الكافرين عذابا صبا ونهبا وللمؤمنين عمدا وحصنا ، فطرت وا [بنعمائها وفزت بحبائها وأحرزت سوابقها وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك ولم يزعج قلبك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم تخر ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، وكنت كما قال : أمن الناس في صحبتك ، وذات يدك ، وكنت كما قال : ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر ا [، متواضعا في نفسك عظيما عند ا [، كبيرا في الأرض ، جليلا عند المؤمنين . لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز [ولا لأحد فيك مطمع] ولا لأحد عندك هواده الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، شأنك الحق والصدق والرفق وقولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم فيما فعلت ، وقد نهج السبيل وسهل العسير واطفئت النيران واعتدل بك الدين وقوي بك الإسلام ، فظهر أمر ا [ولو كره الكافرين وثبت بك الإسلام والمؤمنون وسبقت سبقا بعيدا وأتعبت من بعدك تعبًا شديدا ، فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام ، فإن ا [وإنا إليه راجعون ، رضينا عن ا [قضاءه وسلمنا [أمره ، فوا [لن يصاب المسلمون بمثلك أبدا ، كنت للمؤمنين كهفا وحصنا وقنة راسيا وعلى الكافرين غلظة وغيظا ، فألحقك ا [بنبيه ولا أحرمنّا أجرك ولا أضلنا بعدك . وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى وبكى أصحاب رسول ا [(صلى ا [عليه وآله) ثم طلبوه فلم يصادفوه . *

الشرح: قوله (ارتج الموضع بالبكاء) الارتجاج الاضطراب والحركة . قوله (وجاء رجل) يفهم من كلام الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة أن ذلك الرجل هو الخضر (عليه السلام) . " مسترجع " سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلا يقول: إنا [وإنا إليه راجعون فقال: إن قولنا إنا [، إقرار على أنفسنا بالملك . وإنا إليه راجعون ، إقرار على أنفسنا بالهلك . أقول: فيه اعتراف بأنه مبدء كل شئ ومرجعه وهو اخرى كلمة يقال في مقام التسليم والرضا